سِلْسِلَةُ: إِتْحَافِ الحَاضِرِ والبَادِي بِتَفْرِيغِ أَشْرِطَةِ العَلَّامَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي (٦٥/ ٥)

تَفْرِيْغُ شَرِيْطٍ -لِأَوَّلِ مَرَّةٍ يُنْشَرُ- بِعُنْوَانِ:

«الكَلِمَاتُ الوَعْظِيَّةُ وَالتَّوْجِيْهَاتُ المَنْهَجِيَّةُ» (٥/ ١٤)

«الاسْتِعْدَادُ لِيَوْمِ القِيَامَةِ بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ»

لِفَضِيلَةِ الشَّيخِ العَلَّامَةِ

د. مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي المَدْخَلِي -حَفِظَهُ اللهُ-

المدرّس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا

ألقاها فضيلته قديمًا في مصلى كلية الحديث بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

اعْتِنَاءُ

أَبِي قُصَيٍّ المَدَنِيِّ

-عَفَا اللهُ عَنْهُ وعَنْ والِدَيْهِ ومَشَايِخِه وَالْمُسْلِمِيْنَ أَجْمَعِيْنَ-

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة بعنوان: «الاستعداد ليوم القيامة بالأعمال الصالحة»

لفضيلة الشيخ محمد بن هادي المدخلي -حفظه الله-[1]

«الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمدٍ، رحمةِ الله للعالمين، وقائدِ الغُرِّ المُحَجَّلين، ورضي الله عن أصحابه أجمعين، وعن التابعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا معشر الإخوان، إنَّ لنا في هذه الأيام لعبرة، هذه الأيام تطرح على العاقل سؤالاً؛ بقي بين إخواننا وبين اختبارهم المعلوم المحسوس أيامٌ قلائل، إنَّ الاستعداد لهذا الاختبار لا يُستغرب، وليس فيه حزم، ولا كياسة من المرء؛ لأنه قد أُخبر بموعده، وأُعلم بحاله، وقد درس ما سيسأل عنه، والحزم مع هذا يبذله المرء في الاستعداد والقيام بما يجب، ولكنَّ النتيجة تختلف بعد أن يَرِدَ الناس هذا الاختبار.

إخوة الإسلام: هذا في اختبار صغير من اختبارات الدنيا، لا يعقبه فوز أبدي، ولا خسارة أبدية، وهذا هو الاستعداد له ببذل المُهَج، والطاقات، والمال، وإكداد الجسم، وإرهاقه، وإسهار العيون، وإتعاب الأبدان لتحصيل ما يُجنى في هذه الدنيا، فكيف -يا إخوتاه- بيوم قد خفي عنك موعده، وغابت عنك أسئلته، وعظم كربه، وعظم السائل فيه، يوم يبعثر ما في القبور، ويُحَصَّل ما في الصدور، نسأل الله العافية والسلامة، فاللهم سلِّم سلِّم.

ذلك اليوم هو الذي يجب على العاقل الاستعداد له، وأنتم -معشر الإخوان- طلاب سُنَّة رسول الله ﷺ، كم يمر بكم التذكير، والوعد، الوعيد، وأحوال الصالحين من العبيد الذين رووا هذه السنن وبلَّغوها إليكم!

---

(١) ألقاها فضيلته قديمًا في مصلى كلية الحديث بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

قيل لسفيان رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: ما لك قد ضيَّقت على نفسك؟ قال: أو عندكم سعة؟[١]

وقيل لأبي الدرداء: ألا تتخذ في الدار آنية؟ وفي اللفظ الآخر: أين متاعك في دارك؟ قال: إنَّ صاحب الدار لا يتركنا[٢].

إخوة الإسلام: أجل محتوم، وموعد مكتوم عنا، والعمل مطلوب منا، والصراط مدحض ومَزَلَّة، والناجون قلة، والهالكون كثرة، والأهواء والشبهات والشهوات لا تعد ولا تحصى، وشياطين الإنس والجن دعاة في كل وقت وحين.

أيها الإخوة: إنَّ الحزم حقيقةً هو أن يُستعد للذي يهجم عليك فجأة، إنَّ الحزم والعقل حقيقةً هو أن يُعمل لليوم الذي ليس بعده شيء، إمَّا عذاب أبدي، وإمَّا نعيم أبدي، هذه الدار منقولة، والسعيد حقاً من أُسعِد في الآخرة، والشقي حقاً من شقي في الآخرة، عافانا الله وإياكم.

قال أهل السير والتراجم في ذكر سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: لو قيل لسفيان: إنَّ الموت يأتيك الساعة، ما استطاع أن يزيد على ما هو عليه[٣].

فيا إخوة الإسلام: اللهَ اللهَ بالعمل، «**وَأَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ**»[٤]، ما أكثر التعب والنَّصب عندنا جماعات وأفراد في بناء دار يجمع لها المال، وربما سكنها أو لم يسكنها بعد

---

(١) لم أقف عليه حسب بحثي القاصر، وللفائدة: أخرج أبو بكر الدينوري في «المجالسة» (٤/ ٤٧) برقم (١٢٠٤): (أن سفيان الثوري قال: قيل للربيع بن خثيم: لو أرحت نفسك؟ قال: راحتها أريد).

(٢) الذي وقفت عليه أنه عن أبي ذر رضي الله عنه وليس عن أبي الدرداء رضي الله عنه؛ فقد أخرج ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٦/ ٢١١): وفيه: (دخل رجل على أبي ذر فجعل يقلب بصره في بيته، فقال: يا أبا ذر، أين متاعكم؟ وفي حديث رَشَأ: ما أرى في بيتك متاعاً ولا غير ذلك من الأثاث، فقال: إن لنا بيتاً نوجه إليه صالح متاعنا، قال: إنه لا بد لك من متاع ما دمت ها هنا، فقال: إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه).

(٣) جاء هذا المعنى عن عدد من السلف، وأما عن سفيان الثوري فلم أقف عليه حسب بحثي القاصر، وأما عن غيره: فقد أخرج أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٥٠): عن عبد الرحمن بن مهدي أنه قال: (لو قيل لحماد بن سلمة إنك تموت غداً ما قدر أن يزيد في العمل شيئاً)، وأخرج البيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ٥٣٢) برقم (٢٩٥٧): عن هشيم أنه قال: (لو قيل لمنصور بن زاذان: ملك الموت على الباب، ما كان عنده زيادة في العمل)، وجاء في «تهذيب الأسماء واللغات –دار الكتب العلمية» (١/ ٨٧) في ترجمة ابن أبي ذئب: (أنه لو قيل له: إن القيامة غدًا، ما كان فيه مزيد اجتهاد).

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٦٤٦٤)، ومسلم في «صحيحه» برقم (٧٨٣).

التعب والعناء، ثم تتحول ويتحول هو، ولكن دار في الآخرة: من صلى لله ﷻ في يوم وليلة ثنتي عشرة ركعة بنى الله له بيتاً في الجنة(١).

وآسفاه ما أقل العمل وما أعظم الجزاء، وآسفاه ما أكثر الغفلة والغافلين، الجنة حفت بالمكاره، والنار بالشهوات، ليس بينك وبين أن تلج إلا أن تُطْلِقَ لنفسك العنان في هواها، ليس بينك وبينها أن تلج إلا أن تأطُرَها على مراد خالقها وباريها ﷻ، ثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة عدا الفريضة تصلى لله يُبنى لك بها بيت في الجنة، كما صح بذلك الحديث، بيت لا يحول ولا يزول، ولا تتغير ملكيته، كم تتعب إذا أردت مزرعة في هذه الحياة! وكم يأتيك من ثمارها! وقارنه بما تكده وتكدح فيها، ولكن «سبحان الله والحمد لله غراس في الجنة»(٢) بلا شيء، عمل يسير وأجر كبير، نعم يسير لكنه يسير على من يسرَّه الله عليه.

عباد الله: عشر من قول «لا إله إلا الله وحده لا شريك له» كل يوم تعدل عتق أربع رقاب من ولد إسماعيل -عليه الصلاة والسلام-(٣)، ونحن نعجز أن نعتق رقبة في هذا الزمان.

مئة من «لا إله الا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير»، عَدْلُ عشر رقاب من ولد إسماعيل تعتقها(٤)، سبحان الله! ما أعظم الجزاء! وما أيسر العمل! وما ذاك إلا لأنَّ المعطي كريم، ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام:١٦٠].

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (٧٢٨).

(٢) أخرج ابن ماجه في «سننه» برقم (٣٨٠٧) من حديث أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ مر به وهو يغرس غرساً، فقال: «يا أبا هريرة، ما الذي تغرس؟» قلت: غراساً. قال: «ألا أدلك على غراس خير من هذا؟» قال: بلى يا رسول الله. قال: «قل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، يغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ٥١٠) برقم (٢٦١٣).

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (٢٦٩٣).

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٣٢٩٣)، ومسلم في «صحيحه» برقم (٢٦٩١).

معشـــــر الإخوان: إنَّ نَابِهَ القلب وحَيَّ القلب هو الذي يتذكر بمثل هذه المواعظ التي تعظه، تمر عليه فيتعظ منها، ويستفيد منها.

واعلموا: أنَّ الموت أدنى إلى المرء من شراك نعله، وليس بينه وبين أن يدخل الجنة أو النار إلا أن يموت.

تَـاللهِ لَـوْ عَـلِـمْـتَ مَـا وَرَاءكَـا ... لَمَـا ضَـحِـكْـتَ وَلَأَكْثَرْتَ البُكَـا

قَـدْ حُـفَّـتِ الجَـنَّـةُ بِـالمَـكَـارِهِ ... وَالنَّـارُ بِـالـذِي النُّفُوسُ تَشْـتَهِي

مَـعَ أنَّ كـلاً مِـنْـهُـمَا إِلـيْـنَـا ... أَدْنَى مِنَ الشِّـــــرَاكِ فِي نَعْلَينَا (١)

ليس بين أحدكم وبين أن يدخل الجنة إلا أن يموت.

فيا عباد الله: اللهَ اللهَ في العمل، فازهدوا في هذه الدنيا، فإنَّ كدرها كثير، وصفاءها قليل، والنجاءُ منها قليل، نسأل الله العافية والسلامة بلطفه ورحمته.

معشـــر الإخوان: إنَّ الحديث إنما طُلِبَ ليُنتفع به، ويُعمل به، لا ليُتزين به، ولا ليُتفاخر به، ولا ليُتكاثر به، ولا ليُمارى به، إنَّ الحديث إذا لم يورث خشية في قلب العبد الطالب له؛ فهو حجة من الله ﷻ عليه، فالعلم علمان؛ علم يورث العمل، وهو الذي يقر في القلب، وعلم لا يتجاوز اللسان، وهو حجة الله على ابن آدم، فكونوا ممن أورثهم هذا العلم خشيته.

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾ [الزمر:٩]، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩﴾ [ص:٢٩]، هذا هو، ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾ [الزمر:٩].

---

(١) هذه الأبيات من منظومة «السبل السوية لفقه السنن المروية» للشيخ العلَّامة حافظ الحكمي رحمه الله، كتاب الجامع، باب الورع والزهد والرقاق.

أهل الليل في ليلهم كأهل اللهو في لهوهم، خفَّ عليهم القيام في طاعة الملك الديان كما خفَّ اللهو والسهر على أتباع الشيطان في ملاذهم وشهواتهم ومتعهم في حياتهم الدنيا، فأصبح ذلك التعب لا يحسون به، وأتباع الشيطان أثقل ما تكون عليهم ركعتان، والله ﷻ يقول: ﴿وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ﴾ [آل عمران:١٧]، ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ﴾ من هذه الجنات والعيون ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ١٦ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩﴾ [الذاريات:١٥-١٩].

فكونوا -يا عباد الله- ممن دلَّه عمله على الله، فاتقاه وخَشِيَه حقَّ خشيته، ولا تكونوا ممن كان علمه حجة عليه ووبالاً، نسأل الله ﷻ ألا يهتك لنا ستراً، ولا يفضح لنا مخبوءاً، وأن يسترنا بستره الجميل، وأن يعاملنا برحمته ولطفه ﷻ، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان».

اعْتِنَاءُ

أَبِي قُصَيٍّ المَدَنِيِّ

-عَفَا اللهُ عَنْهُ وعَنْ والِدَيْهِ ومَشَايِخِه وَالْمُسْلِمِيْنَ أَجْمَعِيْنَ-

فِي الثَّانِي وَالعِشْرِيْنَ مِنْ شَهْرِ شَعْبَانَ عَامَ سِتَّةٍ وأَرْبَعِينَ وأَرْبَعِمِئةٍ وأَلْفٍ مِنَ الهِجْرَةِ